بسم الله الرحمن الرحيم

«لِلَّهِ دَرُّكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ» ١٦ مُحَرَّم ١٤٤٧هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِمَّا ابْتُلِيَتْ بِهِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ خُرُوجَ فِرْقَةٍ مَارِقَةٍ عَنِ الدِّينِ لَا يَأْلُونَ فِي مُسْلِمٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَوَارِجُ، الَّذِينَ زَعْزَعُوا أَمْنَ الْبُلْدَانِ، وَرَوَّعُوا سُكَّانَهَا، وَجَعَلُوا لِلْكُفَّارِ عَلَيْهَا سَبِيلًا، وَلَوْلَا فِتْنَةُ النَّاسِ بِهِمْ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ لِبَاسَ الدِّينِ، فَيَقُولُونَ بِالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَرُجُوعِ الْخِلَافَةِ، مِمَّا يَنْطَلِي عَلَىٰ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، لَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ، وَلَكَانَ عِلَاجُهُمْ إِهْمَالَهُمْ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ»: أَمَّا الْجَاهِلُ الْمُقَلِّدُ فَلَا تَعْبَأْ بِهِ، وَلَا يَسُؤْكَ سَبُّهُ وَتَكْفِيرُهُ وَتَضْلِيلُهُ، فَإِنَّهُ كَنُبَاحِ الْكَلْبِ، فَلَا تَجْعَلْ لِلْكَلْبِ عِنْدَكَ قَدْرًا، أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ كُلَّمَا نَبَحَ عَلَيْكَ، وَدَعْهُ يَفْرَحْ بِنُبَاحِهِ وَافْرَحْ أَنْتَ بِمَا فُضِّلْتَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْهُدَىٰ، وَاجْعَلِ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ مِنْ بَعْضِ شُكْرِ نِعْمَةِ اللهِ الَّتِي سَاقَهَا إِلَيْكَ، وَأَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ. اهـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كَانَتْ بِدَايَةُ ظُهُورِ الْخَوَارِجِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ [مَوْضِعٍ بِقُرْبِ مَكَّةَ] وَهُوَ يَقْسِمُ التِّبْرَ وَالْغَنَائِمَ [التِّبْرُ: هُوَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ قَبْلَ أَنْ يُصَاغَا] ، وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلَالٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّىٰ أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ، أَوْ أُصَيْحَابٍ لَهُ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الشَّرِيعَةِ»: «بَابُ ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَسُوءِ مَذَاهِبِهِمْ، وَإِبَاحَةِ قِتَالِهِمْ وَثَوَابِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ»، ثُمَّ قَالَ: لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمُ سُوءٍ، عُصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ، وَيُظْهِرُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَا يَهْوُونَ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنْهُمْ، وَحَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْخَوَارِجُ هُمُ الشُّرَاةُ الْأَنْجَاسُ الْأَرْجَاسُ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مَذْهَبِهِمْ

مِنْ الدِّينِ، وَأَمَرَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ بِقِتَالِهِمْ، وَبَيَّنَ فَضْلَ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا مِنْ بُلْدَانٍ شَتَّىٰ، وَاجْتَمَعُوا وَأَظْهَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّىٰ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَتَلُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدِ اجْتَهَدَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَنْ لَا يُقْتَلَ عُثْمَانُ، فَمَا أَطَاقُوا عَلَىٰ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَرْضَوْا لِحُكْمِهِ، وَأَظْهَرُوا قَوْلَهُمْ وَقَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَلِمَةُ حَقٍّ أَرَادُوا بِهَا الْبَاطِلَ، فَقَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَتْلِهِمْ، وَأَخْبَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِفَضْلِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، وَقَاتَلَ مَعَهُ الصَّحَابَةُ، فَصَارَ سَيْفُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْخَوَارِجِ سَيْفَ حَقٍّ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْخَوَارِجُ لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَلَكِنْ كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُهُمْ مَعَ الدَّجَّالِ؛ لِذَلِكَ فَمَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفَجِّرُونَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَيَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ وَالْآمِنِينَ وَالْمُسْتَأْمَنِينَ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا وُرَّاثٌ لِأُولَئِكَ وَعَلَىٰ مَنْهَجِهِمْ سَارُوا.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ حَثَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَيَكُونُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ وَمَنْ يُوَلِّيهِ عَلَىٰ ذَلِكَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ سَارُوا إِلَىٰ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَىٰ قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَىٰ صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَىٰ صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ.

وَوَرَدَتْ أَيْضًا أَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، وَأَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ، وَإِنْ كَانُوا يُظْهِرُونَ الصَّلَاحَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالْجِهَادَ زَعَمُوا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ

أُمَّتِي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»، وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ».

فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ - عِبَادَ اللهِ - مَا يَتَزَيَّنُونَ بِهِ مِنَ الصَّلَاحِ، وَدَعْوَىٰ الْجِهَادِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَتَجَاوَزُ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ، أَخْرَجَ الْآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»، وَاللَّالَكَائِيُّ فِي «أُصُولِ الِاعْتِقَادِ»، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَذُكِرَ لَهُ الْخَوَارِجُ وَاجْتِهَادُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، قَالَ: لَيْسَ هُمْ بِأَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، وَهُمْ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ. وَأَخْرَجَ الْآجُرِّيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» عَنِ الْمُعَلَّىٰ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، خَرَجَ خَارِجِيٌّ بِالْخُرَيْبَةِ [مَحِلَّةٌ عِنْدَ الْبَصْرَةِ]، فَقَالَ: الْمِسْكِينُ رَأَىٰ مُنْكَرًا فَأَنْكَرَهُ، فَوَقَعَ فِيمَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ رَأَىٰ اجْتِهَادَ خَارِجِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ، عَدْلًا كَانَ الْإِمَامُ أَوْ جَائِرًا، فَخَرَجَ وَجَمَعَ جَمَاعَةً وَسَلَّ سَيْفَهُ، وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَغْتَرَّ بِقِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَلَا بِطُولِ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَلَا بِدَوَامِ صِيَامِهِ، وَلَا بِحُسْنِ أَلْفَاظِهِ فِي الْعِلْمِ إِذَا كَانَ مَذْهَبُهُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا قُلْتُهُ أَخْبَارٌ لَا يَدْفَعُهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ لَعَلَّهُ لَا يَخْتَلِفُ فِي الْعِلْمِ بِهَا جَمِيعُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. اهـ

وَهَذَا حَالُ الْخَوَارِجِ تَمَامًا، يَرَوْنَ الْمُنْكَرَاتِ فَيَلْجَأُونَ إِلَىٰ تَغْيِيرِهَا بِالسَّيْفِ، فَيَسْفِكُونَ الدَّمَ الْحَرَامَ، وَيَقْتُلُونَ الْمُسْلِمِينَ بِزَعْمِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ وَإِصْلَاحِ الْحَالِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْخُرُوجَ عَلَىٰ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ وَسَلَّ السُّيُوفَ عَلَيْهِمْ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِضَعْفِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَأَخُّرِهَا وَفَشَلِهَا، وَاسْتِغْلَالِ عَدُوِّهَا الْفُرَصَ ضِدَّهَا، فَآثَارُهُ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّمَارِ وَالضَّرَرِ خَطِيرٌ، بِعَكْسِ مَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجُ مِنْ أَنَّهُمْ بِخُرُوجِهِمْ وَتَفْجِيرِهِمْ سَيَنْصُرُونَ الْإِسْلَامَ، وَيُقِيمُونَ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ.

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْآثَارِ الَّتِي يُخَلِّفُهَا الْخُرُوجُ عَلَىٰ الْحُكَّامِ، وَعَدَمُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ: ضَعْفَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَانْتِهَاكَ قُوَاهَا، مَعَ مَا يُقَابِلُهُ مِنْ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَظُهُورِ شَوْكَتِهِ؛ فَإِنَّ فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ إِضْعَافًا لِجَيْشِهِ، وَتَقْلِيلًا مِنْ عَدَدِهِمْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَاكِمَ سَيَصُدُّ الْخَوَارِجَ وَسَيُقَاتِلُهُمْ، وَسَيُحَاوِلُ اسْتِئْصَالَ شَوْكَتِهِمْ، فَيَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنْ جُنْدِهِ،

وَسَيَخْسَرُ كَثِيرًا مِنْ عَتَادِهِ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ الْخَارِجِيُّ لَهُ شَوْكَةٌ وَشَأْفَةٌ وَقُوَّةٌ يَصْعُبُ اسْتِئْصَالُهَا. وَسَيَنْشَغِلُ الْمُسْلِمُونَ بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ، وَسَتَتَعَطَّلُ الثُّغُورَ وَيَنْشَغِلُونَ عَنْ إِعْدَادِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَقِلُّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقْوَىٰ الْعَدُوُّ، وَيَزْدَادُ فِي إِعْدَادِ نَفْسِهِ، إِنْ لَمْ يُدَاهِمِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ. وَفِي الْمُقَابِلِ فَإِنَّ الْخَوَارِجَ مَعَ قَتْلِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَإِضْعَافِهِمْ لَهُمْ، يَتْرُكُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ وَالشِّرْكِ، وَيُدِيرُونَ مَعَارِكَهُمْ ضِدَّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ».

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُعَلِّمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّنْكِيلِ»: وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُهُ [أَيِ: الْخُرُوجَ عَلَىٰ الْحُكَّامِ الظَّلَمَةِ] يَرَىٰ أَنَّهُ شَقٌّ لِعَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَتَفْرِيقٌ لِكَلِمَتِهِمْ، وَتَشْتِيتٌ لِجَمَاعَتِهِمْ، وَتَمْزِيقٌ لِوِحْدَتِهِمْ، وَشَغْلٌ لَهُمْ بِقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؛ فَتَهِنُ قُوَّتُهُمْ، وَتَقْوَىٰ شَوْكَةُ عَدُوِّهِمْ، وَتَتَعَطَّلُ ثُغُورُهُمْ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهَا الْكُفَّارُ، وَيَقْتُلُونَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيُذِلُّونَهُمْ، وَقَدْ يَسْتَحْكِمُ التَّنَازُعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَتَكُونُ نَتِيجَتُهُ الْفَشَلَ الْمُخْزِيَ لَهُمْ جَمِيعًا. وَقَدْ جَرَّبَ الْمُسْلِمُونَ الْخُرُوجَ فَلَمْ يَرَوْا مِنْهُ إِلَّا الشَّرَّ. اهـ

وَهَذَا الْأَثَرُ يَنْتُجُ عَنْهُ أَثَرٌ آخَرُ خَطِيرٌ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ هَزِيمَتُهُمْ وَفَشَلُهُمْ أَمَامَ عَدُوِّهِمْ، فَيَحْدُثُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهِ مِنِ اسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ عَلَىٰ دَوْلَتِهِمْ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِمْ .

وَمِنَ الْآثَارِ السَّيِّئَةِ -أَيْضًا-: انْتِهَازُ الْعَدُوِّ لِهَذِهِ الْفُرْصَةِ، وَهِيَ اخْتِلَافُ الرَّعِيَّةِ عَلَىٰ إِمَامِهِمْ، وَتَقَاتُلُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَيَنْهَضُ لِغَزْوِ الْمُسْلِمِينَ، أَوِ السَّطْوِ عَلَىٰ بَعْضِ بُلْدَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَنِّ الْغَارَاتِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْكُفَّارَ يَسْتَغِلُّونَ أَيَّ فُرْصَةٍ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾، هَذَا إِذَا انْشَغَلُوا عَنْ أَسْلِحَتِهِمْ، فَكَيْفَ إِذَا انْشَغَلُوا بِبَعْضِهِمُ الْبَعْضِ، وَوَهَتْ قُوَّتُهُمْ، وَضَعُفَتْ شَكِيمَتُهُمْ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الِاسْتِذْكَارِ»: فَالصَّبْرُ عَلَىٰ طَاعَةِ الْإِمَامِ الْجَائِرِ أَوْلَىٰ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ فِي مُنَازَعَتِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ اسْتِبْدَالَ الْأَمْنِ بِالْخَوْفِ، وَإِرَاقَةَ الدِّمَاءِ، وَانْطِلَاقَ أَيْدِي الدَّهْمَاءِ، وَتَبْيِيتَ الْغَارَاتِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ جَوْرِ الْجَائِرِ.